المجلة الغمارية

المعرفة رأس الحكمة



العدد 3

ربيع الثاني 1430

مجلة دورية تصدر عن جمعية آل البيت للتراث والعلوم الشرعية - فلسطين



اجتماعُ الخصال المحمودة فيه صلى الله عليه وآله وسلم وبيان ما اتصف به خير الخلق خَلْقًا وخُلُقاً

اعلم أيها المحب لحبيبنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن خصال الجمال والكمال في البشر نوعان: ضروري دنيوي اقتضته الجِبِلَّة مثل ما كان في جبلته من كمال خِلْقَتِهِ وجمال صورته، وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه، وقوة حواسه وأعضائه، واعتدال حركاته، وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه، وما كان له من الخصال الحميدة والأخلاق العَلِيَّة: كالعلم والحلم والصبر والشكر والعمل والزهد، والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة.

فيا عظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخُذُهُ عَدّ ولا يعبر عنه مقال، ولا يُنال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة و الرسالة والخُلة والمحبة والاصطفاء والإسراء والمعراج والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود، والصلاة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمم، وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة، والمكانة عند ذي العرش والطاعة والأمانة والهداية وكونه رحمة للعالمين، وإعطاء الرضا والسُّؤْل، والكوثر، وإتمام النعمة والعفو عما تقدم وتأخر مع عصمة من كل زلل، وشرح الصدر، ورفع الذكر وعزة النصر، ونزول السكينة، والتأييد بالملائكة، وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم، وصلاة الله تعالى والملائكة عليه وهي من الله رحمة ومن الملائكة استغفار، والقسم باسمه، وإجابة دعوته، وتكليم الجمادات والعُجْم (وهو من لا يقدر على الكلام)، وإحياء الموتى، وإسماع الصُّمِّ، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وانشقاق القمر، وَرَدُّ الشمس والنصر بالرعب والاطلاع على بعض الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصى وإبراء الآلام، والعصمة من الناس، إلى ما أعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة، ودرجات القدس، ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول و يحار دونها الفهم، وغير ذلك كثير لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه إلا مانِحُه ذلك ومُفَضّله به وهو الله الذي لا إله غيره.

واعلم نَوَّرَ الله قلبي وقلبك، وضاعف في هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حبي وحبك أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة في جبلة الخِلْقَة وجدته حائزاً لجميعها، محيطاً بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الأخبار في ذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع.

أما الصورة وجمالها، وتناسب أعضائه الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم في حسنها، فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث سيدنا علي عليه السلام، وأنس بن مالك، وأبي هريرة، والبراء بن عازب، والسيدة عائشة أم المؤمنين، وابن أبي هالة، وأبي جحيفة، وجابر بن سمرة، وأم معبد، وابن عباس، ومعرض بن معيقيب، وأبي الطفيل، والعداء بن خالد، وخريم بن فاتك، وحكيم بن حزام رضي الله عنهم جميعاً وغيرهم من الرواة من أنه صلى الله عليه وآله سلم: ﴿كان أَزْهَرْ اللون، أَدْعَجْ (وهي شدة سواد حَدَقَة العين)، أَنْجَلْ (واسع شق العين)، أَشْكَلْ (وهي حمرة في بياض العين)، أَهْدَبْ الأَشْفار (أي طويل شعر الجفنين ونقول الأهداب)، أَبْلَجْ (أي مُشرِق)، أَزَجّْ (أي مقوس الحاجبين مع طول وامتداد)، أَقْنَى (أي مُحدَوْدِب الأنف)، أَفْلَجْ (وهو فراغ بين الثنايا)، مُدَوَّر الوجه، واسع الجَبين، كَثّ اللِّحْيَةِ وتملأ صدره، سواء البطن والصدر (أي بطنه مستوي)، واسع الصدر، عظيم المِنْكَبَيْنِ، ضخم العظام، عَبْلَ العَضُضَيْن (أي ضخم) والذراعين والأسافل (الفخدين والساقين)، رَحْبَ الكفين والقدمين (واسعهما)، سائل الأطراف (أي طويل الأصابع)، أَنْوَرَ المُتَجَرِّد (أي حين يتجرد من ثيابه تراه أنور ومشرق)، دقيق المَسْرُبَة (وهي خط دقيق من الشعر بين الصدر والسرة)، رَبْعَةُ القَدِّ فليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله صلى الله عليه وآله وسلم، رَجْلُ الشعر (فليس شديد الجُعودة ولا شديد النعومة)، إذا افْتَرَّ ضاحكاً (كشف ثناياه من الضحك) افتَرَّ عن مثل سنا البرق، وعن مثل حَبِّ الغمام (البَرَد)، إذا تكلم رُئِيَ كالنور يخرج من ثناياه، أحسن الناس عُنقاً، ليس بمُطَهَّمْ (سمين) ولا مكلثم متماسك البدن﴾، قال البراء بن عازب رضي الله عنه: "ما رأيت من ذي لِمَّةٍ في حلة حمراء أحسنَ من رسول صلى الله عليه وآله وسلم"، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كأن الشمس تجري في وجهه، وإذا ضحك يتلألأ في الجُدُر"، وفي حديث ابن أبي هالة رضي الله عنه: "يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر"، ونختم بما قاله أخوه وابن عمه وحبيبه سيدنا علي عليه السلام في آخر وصفه له: "من رآه بديهةً هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعِتُهُ:لم أَرَ قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وآله وسلم"، جمعنا الله وإياكم على حوضه المورود، وأكرمنا بشفاعته يوم العرض على الحكيم الودود، وزاد فيه محبتنا وأكرمنا بحسن إتباعه والثبات على ما جاء به من عند الرب المعبود.

وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.



سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام

اسمه وكنيته عليه السلام:

هو سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ابن بنته فاطمة الزهراء عليها السلام، وابنُ ابنِ عمه علي بن أبي طالب عليه السلام، يكنى أبا محمد.

مولده ونشأته عليه السلام:

ولدته أمه السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وهذا أصح ما قيل، وقد عقَّ عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم سابعه بكبش وحلق رأسه وأمر أن يتصدق بزنة شعره.

وصفه عليه السلام:

كان عليه السلام أشبه الناس بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: "كان الحسنُ أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين الصدر إلى الرأس"(رواه الطبراني في الكبير)، وذكر معمر عن الزهري عن أنس رضي الله عنه قال: "لم يكن فيهم أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الحسن عليه السلام"(أخرجه عبد الرزاق).

منزلته ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

كان عليه السلام من أحب الناس إلى قلب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، روى الترمذي من حديث أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه قال: طرقت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الحاجة فقال: ﴿ هذان ابنايَ وابنا ابنتي، اللهم إني أحبهما فأحبَّهما وأحب من يحبهما ﴾، وهو عليه السلام سبط سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته، روى أَبو بَكْرَةَ رضي الله عنه أَن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي فَإِذَا سَجَدَ وَثَبَ الْحَسَنُ عليه السلام عَلَى ظَهْرِهِ وَعَلَى عُنُقِهِ، فَيَرْفَعُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ رَفْعًا رَفِيقًا لِئَلا يُصْرَعَ، قَالَ: فَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ، فَلَمَّا قَضَى صَلاتَهُ قَالُوا:

يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَ بِالْحَسَنِ شَيْئًا مَا رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَهُ، قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ إِنَّهُ رَيْحَانَتِي مِنْ الدُّنْيَا ﴾(رواه الإمام أحمد).

أولاده عليه السلام:

كان له عليه السلام العديد من الأولاد: أبو بكر وعبد الله والقاسم، وثلاثتهم استشهد مع سيدنا الحسين عليه السلام في وقعة كربلاء، وعمر والحسن المثنى وعلي وزيد عليهم السلام جميعاً.

مناقبه وفضائله عليه السلام:

إن مناقبه عليه السلام أكثر من أن تحصر، فهو سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته وأشبه الناس به، أخرج البخاري عن عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَمَلَ الْحَسَنَ عليه السلام وَهُوَ يَقُولُ: بِأَبِي شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم لَيْسَ شَبِيهٌ بِعَلِيٍّ، وَعَلِيٌّ عليه السلام يَضْحَكُ، وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يحبه وأخاه الإمام الحسين عليهما السلام ويعتبرهما ابنيه، فَكَانَ يَقُولُ للسيدة فاطمة عليها السلام: ﴿ ادْعِي لِيَ ابْنَيَّ، فَيَشُمُّهُمَا وَيَضُمُّهُمَا إِلَيْهِ ﴾(أخرجه الترمذي)، وهو وأخوه عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ﴾(أخرجه الترمذي)، أصلح الله تعالى به بين المسلمين، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ﴾(أخرجه البخاري).

وفاته عليه السلام:

توفي عليه السلام بالمدينة شهيداً مسموماً على يد امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي، واختلف في وقت وفاته، فقيل مات سنة تسع وأربعين، وقيل في ربيع الأول من سنة خمسين، وقيل بل مات سنة إحدى وخمسين، صلى عليه سعيد بن العاص الذي كان أميراً بالمدينة حين ذاك، ودفن عليه السلام ببقيع الغرقد إلى جنب أمه السيدة فاطمة عليها السلام، وقد كان عليه السلام في مرضه سأل السيدة عائشة عليها السلام أن يدفن في بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما مات منعه من ذلك مروان بن أمية كما ذكر ذلك ابن عبد البر في (الاستيعاب في معرفة الأصحاب).

وصلِّ اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.



تعظيم العلم وأهله مع الجِدِّ والعمل

الحمد لله الذي فضل بني آدم بالعلم والعمل، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد العرب والعَجَم، وعلى آله وصحبه ينابيع العلوم والحِكَم، وبعد:

فإن طالب العلم لن ينال العلم ولن ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله وبتعظيم المعلِّم وتوقيره، فمن تعظيم العلم تعظيم أهله حيث قال سيدنا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "أنا عبدُ من علمني حرفاً واحداً"، وقال الإمام الزرنوجي:

رأيـــتُ أحـــقَّ الحَـــقِّ حَـــقَّ المعلِّـــم وأَوْجَبَـــهُ حِفْظـــاً عَلَـــى كُـــلِّ مُسْـــلِمْ
لقـــد حُـــقَّ أنْ يُهـــدَى إليـــهِ كَرَامَـــة لتعلـــيمِ حَـــرْفٍ واحِـــدٍ ألـــفُ دِرهـــمْ

فمن علمك حرفاً مما يحتاج إليه في الدين فهو أبوك في الدين، وحقه عليك أعظم من حق والد النسب؛ إذ رابطة الدين أقوى وأشد من رابطة النسب، مع الالتزام بحفظ حق والد النسب وعدم التنقيص منه، وهناك جملة من الآداب الشرعية التي ينبغي للمتعلم أن يراعيها مع معلمه، منها: ألا تمشي أمامه مقدماً نفسك عليه، وألا تجلس في المكان الذي اختص به، ولا تبتدئ الكلام عنده إلا بإذنه، ولا تكثر الكلام عنده إلا بإذنه، وأن تُراعي الوقت للسؤال،كذلك منها: أن تدق الباب إن أردت الدخول على شيخك، والأفضل أن تصبر حتى يخرج بنفسه فتلقاه، وعلى طالب العلم أيضاً أن يحرص على محبة شيخه ومعلمه وطلب رضاه، ويجتنب سَخَطَهُ ويمتثل أمره في غير معصية الله عزَّ وجلَّ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومن تأذى منه أستاذه يحرم بركة العلم ولا ينتفع منه إلا قليلاً.

إنَّ المعلـــــمَ والطبيـــــبَ كلاهُمَـــــا لا يَنصـــحَانِ إذا هُمَـــا لَـــمْ يُكرَمَـــا
فاصـــبِرْ لِـــدَائِكَ إنْ جَفَـــوْتَ طبيبَـــهُ واقنَـــعْ بجهْلِـــكَ إنْ جَفَـــوْتَ مُعَلِّمَـــا

ومن تعظيم العلم تعظيم الكتاب فينبغي لطالب العلم أن يعتني بكتابه الذي يتلقى منه العلم عن شيخه فلا يجعده ولا يملؤه بهذر الكلام الذي لا يليق بالعلم وأهله، حُكِيَ عن الشيخ شمس الأئمة الحلواني رحمه الله

تعالى قال: "إنما نلتُ العلم بتعظيمه، فإني ما أخذت الكتاب إلا على طهارة"، ومن التعظيم الواجب ألا تمدَّ قدمَكَ للكتاب، وأن تضع كتب العلم الشرعي فوق سائر الكتب تعظيماً لها، وأن تحسن خطك بالكتابة قدر المستطاع، فقد جاء عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله أنه رأى كاتباً يقرمط – أي يكتب بلا عناية– فقال له: "لمَ تقرمط خطك؟، إن عشت تندم"، ومعنى كلام الإمام أنه إذا ما كبر وضعف بصره ثم جاء ليقرأ ما كان يكتب لن يستطيع، وعندها سوف يندم.

ومن تعظيم العلم كذلك تعظيم الشركاء في طلب العلم، وينبغي لطالب العلم أن يعظم المسألة حتى لو ذكرت أمامه ألف مرة ولا يستخف بها، فمن لم يكن تعظيمه بعد ألف مرة كتعظيمه في أول مرة فليس بأهل للعلم، ويجب الترفع عن الأخلاق الذميمة في جميع الأحوال والتحرز عن التكبر، فمع التكبر لا يحصل العلم أبداً، ولله در القائل:

العِلـــمُ حـــربٌ للفتـــى المُتعَـــالِي   كالسَّـــيْلِ حـــرْبٌ للمكـــانِ العَـــالِي

ثم لا بد من الجد والمواظبة والملازمة لطلب العلم، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(العنكبوت: الآية٦٩)، وقال سبحانه: ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾(مريم: من الآية١٢)، فبقدر ما تجِدُّ تَجِدْ، وبقدر ما تزرعُ تحصُد، قال الإمام الشافعي رحمه الله:

فالجِـدُّ يُـدْنِي كُـلَّ أمـرٍ شَاسِـعٍ   والجِـدُّ يفـتَحُ كُـلَّ بَـابٍ مُغلَـقِ

وقال أيضاً رحمه الله:

بقـدر الكـدِّ تكتسـبُ المعـالي   ومـن طلـبَ العُـلا سـهِرَ الليـالي
تـرومُ العـزَّ ثـم تنـام لـيلاً   يغـوص البحـر مـن طَلَـبَ اللآلـي
ومَـنْ رام العُـلا مـن غيـر كـدٍّ   أضـاعَ العمـرَ فـي طلـبِ المحـالِ

فاتخذ الجد سبيلاً تدرك به فضلاً جزيلاً، واغتنم العلم في أيام الحداثة وعنفوان الشباب، فإنه لا بد من همة عالية في العلم يطير بها المرء كما الطير يطير بجناحيه، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم، وإن من أجمل ما يرفع الهمم ويحفزها تأمل مناقب أهل العلم وسيرهم وتراجمهم، تأمل صبرهم وثباتهم، تأمل عظيم ما لاقوا في سبيل دعوة الحق من غير كلل ولا ملل.

نفعنا الله وإياكم ببركة العلم وجعلنا من خدَّام هذا الدين القويم الحريصين على إحيائه قولاً وعملاً.

وصلِّ اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

سلُّ الحسام الهندي على منكر خروج المهدي

الحمد لله الهادي إلى الطريق المستقيم، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وآخرهم المهدي المنتظر إمام العارفين، وذلك لما جاء به الوعد المصون في الذكر المكنون ﴿ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾.

أما بعد،،،

فقد كثُرَ في هذا الزمان إنكارُ كثيرٍ من المسائل العقائدية وغير العقائدية، وذلك بسبب بُعد الناس عن تعاليم دينهم وضعف الثقافة الإسلامية عند كثيرٍ من أهل الفكر، لاسيما ممن يسمُّون بالمثقفين، تحت عدة شعارات وتسميات واعتبارات لا طائل عند الكثيرين من ذكرها، ومن أخطر هذه المسائل إنكار حياة سيدنا عيسى عليه السلام الآن، وأنَّه حيٌّ موجود كما صرح به القرآن وتواترت طرقه من السنة المطهرة، وكذلك إنكار خروج المهدي المنتظر عليه السلام وهو موضوع هذه الرسالة التي سأردُّ فيها شبهة من ينكرون خروجه متذرعين بحجة أن الشيعة هم الذين يقولون بذلك والسبب في هذا الإنكار هو الخلاف القائم بين أهل السنة والشيعة، وهذا خطأ كبير وقع فيه كثيرٌ من الناس، إذ لا علاقة بين ما وقع فيه الخلاف بين أهل السنة والشيعة في المسائل الأصولية والفرعية وخروج المهدي عليه السلام الذي يقول به أكابرُ أهل السنة من حنفية ومالكية وشافعية وحنابلة، وهو الحق الذي لا مِرْيَةَ فيه؛ لأن المهدي الذي تقول به الشيعة هو غير المهدي الذي نقول به نحن معاشر أهل السنة والجماعة جملةً وتفصيلاً، ومن هنا حصل الإنكار والالتباس لدى كثير من الناس، ومنهم من ينتسبون إلى أهل العلم وهو أمرٌ محزنٌ حقاً، وعلى رغم هذا لا يجوز لأيٍّ كان أن ينكر شيئاً قبل أن يتثبت منه، عملاً بالقاعدة التي تقول "عدم معرفتك بالشيء لا يدل على عدم وجوده"، ولهذا قيل أنَّ "لا أدري" نصفُ العلم، على أنَّ المهدي الذي تقول به الشيعة مختلَفٌ فيه حتى فيما بينهم، فمنهم من يزعمُ أنه سيدنا محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى عليهم السلام، ومنهم من يزعم أنه سيدنا محمدُ بن علي بن الحسين – المعروفُ بالباقر– عليهم السلام، ومنهم من يزعم أنه سيدنا جعفر الصادق عليه السلام، ومنهم من يزعم أنه سيدنا محمد بن الحنفية عليه السلام، ومنهم من يزعم أنه سيدنا محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام، وكلٌّ يزعم أن مهديه مختبئ الآن، فمنهم من يقول أنه في "سُرَّ منْ رأى" – أي سامراء من أرض العراق– ومنهم من يقول أنه بجبل حاجز من أرض نجد، ومنهم من يقول أنه بجبل رضوى وهم قد أفضوا إلى ربهم بإجماع علماء التاريخ، زيادة على أن كلَّ فريقٍ منهم يزعم أن مهديهُ سيخرج هذه السنة والحال كما ترى، فالزمان الذي مضى والواقع الذي نعيشه والمستقبل الذي سيأتي لا يشهد لهم بذلك ولا بوجهٍ من الوجوه وهو من أقوى الأدلة عندنا وعندهم، على أن مهدينا الذي نقول به نحن معاشر أهل السنة سيخرج يقيناً، وسيكون خروجه بالطريقة المعهودة التي أنبأنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويكون خروجه – أي ظهوره– من علامات الساعة التي تقبل معها التوبة، وهو رجلٌ سوف يولد كبقية الرجال، ثم يمر في كل الأطوار التي يمر بها الناس عادةً من الطفولة إلى سنِّ التمييز إلى البلوغ وهكذا في كل الأطوار، إلا أنَّ الله يتولى حفظه ورعايته بأن يسخر له أفضل أهل الأرض علماً وعملاً فيقومون على شؤونه وتربيته، وذلك من قبيل تعاطي الأسباب التي أُمرنا بها حتى يأتي أمر الله، وبعد مروره بتلك المراحل يكون جزماً من الأولياء الملهَمين العالِمين العامِلين، ينشر العدلَ ويقاوم الظلمَ وأهلَه كما ذكر علماؤنا الأعلام لا كما ذكر المغالون

والمقصرون والمدعون والمستهزئون، ولقد تكفل بالرَّدِّ عليهم جهابذة أهل العلم كأبي منصور البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) وأدحض حججَهم بأدلة قاطعة لم يدَع فيها مجالاً لا للَجَّاجٍ ولا لمحجاج، والشهرستاني في كتابه (المِلل والنِّحَل)، والإسفراييني في كتابه (التبصير في الدين) وغيرهم كثير، وفي ذكر هؤلاء مقنع ومستقنع.

أمَّا مهدينا الذي نقول به عليه السلام فقد أُلِّف فيه الكثير من علماء أهل السنة، ومن هذه التآليف ما ذكر فيها سيدنا المهدي عليه السلام مع بقية ما يكون من علامات الساعة مثل (الإشاعة لأشراط الساعة) للإمام البرزنجي الحسيني الشافعي، و(الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة) لملِك بهوبال المحدِّث أبي الطيب محمد صديق بن حسن الحسيني القنوجي البخاري، وهو اختصار للكتاب السابق، وهناك من الكتب والرسائل ما انفرد بذكره مثل: (القول المختصر في علامات المهدي المنتظر) لابن حجر الهيتمي، و(عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر) ليوسف بن يحيى السلمي، و(العرف الوردي في أخبار المهدي) و(الكشف في مجاوزة هذه الأمة الألف) و(تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المائة) ثلاثتهم للإمام السيوطي الشافعي، و(البرهان في علامات مهدي آخر الزمان) لعلي بن حسام بن عبد الملك المتقي الهندي، و(تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان) لابن كمال باشا الحنفي، و(المشرب الوردي في مذهب المهدي) لمُلا علي القاري الحنفي، و(فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر) لمرعي بن يوسف الحنبلي وغيرهم كثير، هذا زيادة على ما هو موجود في معاجم الأحاديث من كتب أهل السنة، وقد أفردت لهذه الأحاديث كتب مستقلة، ومن أفضَلِ ما اطلعَتْ عليه عيناي وشُنِّفتْ بسماعه أذناي كتابان: أحدهما لشيخ شيوخنا الحافظ المجتهد الناقد سيدي أحمد بن الصديق الغماري الحسني الطنجي المغربي رحمه الله تعالى وسماه (إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون)، والثاني لشقيقه العلامة الأصولي النظار سيدي ومولاي عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله تعالى سماه (المهدي المنتظر)، وقد اختصر ما قاله السابقون فأجاد وهذَّب فأفاد وعن الحق ما حاد، ومنه نقلت ثم رتبت وهذبت، هذا مع العلم بأن مسألة المهدي عليه السلام مقررةٌ في كل كتب أهل السنة وخاصة في كتب العقائد منها، وبالتحديد عند قولهم بوجوب الإيمان بكل ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها أن الساعة آتية لا ريب فيها، ومن علاماتها خروج المهدي المنتظر عليه السلام، وخروج الأعور الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه وعلى رسولنا السلام، إلى آخر العلامات المعروفة، كما أن الأحاديث الواردة في خروج مهدينا عليه السلام كثيرةٌ وكثيرةٌ جداً يصعب حصرها في هذه العجالة، إلا أني سأقتصر على ذكر أهم مراجع أهل السنة التي ذُكرت فيها تلك الأحاديث، ثم آتي بأسماء الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي عليه السلام من غير ذكر متونها منعاً للتطويل، وأُردف ذلك ببعض ألفاظها مع الإحالة إلى مكانها الأصلي لمن أراد الرجوع إليها، فمن الكتب: صحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود والترمذي وابن ماجه، وصحيح ابن حبان، ومستدرك الحاكم، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، ومسند الدارمي، ومعاجم الطبراني وغيرها، وقد تواتر ذكر المهدي عليه السلام من حديث أبي سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، وأم سلمة رضي الله عنها، وثوبان مولى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدي، وأبي هريرة، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعثمان بن عفان، وحذيفة بن اليمان، وجابر بن ماجد الصدفي، وأبي أيوب الأنصاري، وقرة بن إياس المُزني، وعبد الله بن عباس، وأم حبيبة رضي الله عنها، وأبي أمامة الباهلي، وعبد الله بن عمرو، وعمار بن ياسر، والعباس بن عبد المطلب عليه السلام، والحسين بن علي عليهما السلام، وتميم الداري، وعائشة رضي الله عنها، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، وعلي المكي الهلالي، وعمران بن حصين، وعمرو بن مرة الجهني، وعوف بن مالك، وأبي الطفيل، ورجل من الصحابة لم يسمَّ وجهلُه لا يضر؛ لأن الصحابة كلُّهم عدولٌ في النقل، وقد ذكرها شيخ شيوخنا الحافظ سيدي محمد بن جعفر الكتاني الحسني في كتابه (نظم المتناثر من الحديث المتواتر)، والحافظ أحمد بن

الصديق الغماري في كتابه (الإلمام مما تواتر من حديثه عليه الصلاة والسلام)، وشيخنا المحدِّث الناقد الأصولي سيدي عبد العزيز بن الصديق الغماري في كتابه (إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادات في نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة)، وقد جاء الحديث أيضاً عن كثير من التابعين وأكثرها مراسيل صحيحة ولكن ليس هذا محلُّ ذكرها.

ومن ألفاظ هذه الأحاديث التي سنقتصر عليها ما رواه أبو داود من طريق أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الأَنْفِ، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ ﴾، وجاء أيضاً من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كما أخرجه الترمذي وغيره بلفظ ﴿ لا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي ﴾، وأخرج الحافظ أبو عمرو الداني في سننه عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ لا تزال طائفة من أمتي تقاتل عن الحق حتى ينزل عيسى بن مريم عند طلوع الفجر ببيت المقدس، ينزل على المهدي، فيقال له: تقدم يا نبي الله فصلِّ لنا، فيقول: إن هذه الأمة أمينٌ بعضهم على بعض لكرامتهم على الله عزَّ وجلَّ ﴾، وجاء في معناه عند البخاري ومسلم.

والخلاصة أنه بعد الذي بيَّنَّاه مما جاء به صاحب الشرع فيما يتعلق بخروج المهدي عليه السلام لم يعد هناك عبرة بآراء الرجال؛ لأن آراءهم تقبل الخطأ والصواب، في حين أن حكم الشرع لا يقبل إلا الصواب، فتكون العبرة بما ثبت عن صاحب الشرع؛ لأن القاعدة الأصولية الحديثية تقول "إذا ثبت الخبر ارتفع النظر"، وأي ثبوتٍ يعدِل ثبوتَ الحديث المتواتر، أما العلماء فهم متبعون للشرع، وهم في ذلك متفاوتون بالعلم والاطلاع والتقوى، ومَنْ حَفِظَ منهم حجة على مَنْ لم يَحْفَظ، وكفى بما نقلناه حجة، وقد قال الإمام مالك رضي الله عنه وأرضاه: "كلكم رادٌّ ومردودٌ عليه إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وآله وسلم"؛ لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى، ولأنه مُخبَّرٌ ومخبِرٌ عن الله عزَّ وجلَّ، وإن إنكار خروج المهديِّ عليه السلام ضلال وابتداع في الدين ويُخشى على صاحبه ما يُخشى، وقد قال العلامة محمد بن العربي الفاسي في كتابه (مراصد المعتمد في مقاصد المعتقد):

ومـــا مِـــنَ الأشــــراطِ قـــدْ صَـــحَّ الخبَـــرْ — بِـــهِ عـــن النبـــيِّ حـــقٌ يُنتَظَـــرْ

وَخَبَـــــرُ المهـــــديِّ أيضـــــاً ورَدَا — ذا كثـــرةٍ فِـــي نقلِـــه فاعتَضَـــدَا

وقال السفاريني في عقيدته المسماة بـــ (الدرَّة المضية في عقيدة الفرقة المرضية):

ومـــا أتـــى فِـــي الـــنصِّ مـــنْ أشـــراط — فكُلُّـــــهُ حـــــقٌ بـــــلا شـــــطَاط

منهـــا الإمـــامُ الخـــاتمُ الفصـــيحُ — محمـــــدُ المهـــــديُّ والمســـــيحُ

هذا ما تم ضبطه وتحريره في هذه الرسالة على يد خادم العلم الشريف أبي الفضل أحمد بن منصور بن إسماعيل قرطام المالكي، معترفاً بالعجز والتقصير راجياً شفاعة البشير النذير، لإظهار الحق بلا خلل ولا تقصير، وفي الذي نقلناه كفاية لذوي اللبِّ بعد الضبط والعناية، والله الموفق لا ربَّ غيرُه، مصلياً على سيد السادات عدد الأحياء والأموات والجمادات، ما بقيت الأرضُ والسماوات والجنات المعروشات، صلاةً نرجو بها القَبول وننجو بها وأحبتنا ومن علمَّنا من أهوال القبور والبعث والموقف والنشور.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.



أولى القبلتين وثاني المسجدين ورديف الحرمين الشريفين

مدينة القدس

تقع مدينة القدس في وسط فلسطين تقريباً إلى الشرق من البحر المتوسط على سلسلة جبال ذات سفوح تميل إلى الغرب وإلى الشرق، ترتفع عن سطح البحر المتوسط نحو ٧٥٠ متراً وعن سطح البحر الميت نحو ١١٥٠ متراً، وتبعد المدينة مسافة ٥٢ كم عن البحر المتوسط في خط مستقيم، و٢٢ كم عن البحر الميت و٢٥٠ كم عن البحر الأحمر، وتبعد عن عمان ٨٨ كم، وعن بيروت ٣٨٨ كم، وعن دمشق ٢٩٠ كم، وتعتبر القدس من أقدم مدن الأرض في العصر التاريخي، فقد هدمت وأعيد بناؤها أكثر من ١٨ مرة في التاريخ، وترجع نشأتها إلى ٥٠٠٠ سنة ق.م، حيث عمرها الكنعانيون وأعطوها اسمها.

كانت مدينة القدس على موعد مع الفتح الإسلامي عام ١٥ هجري الموافق ٦٣٦ رومي، فقد دخلها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاتحاً، واستلم مفاتيحها من البطريرك صفرونيوس، وأعلن عهده المشهور لأهلها، وتألقت القدس واحدة من منارات العلم في ديار الإسلام، وبقيت على هذا الحال إلى أن جاء الاحتلال الصليبي فدخلها يوم الجمعة الموافق ٢٣ من شعبان ٤٩٢ هجري الموافق ١٥ من يوليو ١٠٩٩ رومي، وكانت قد تملَّكتهم روح البطش والرغبة في سفك دماء العزّل الأبرياء، فانطلقوا في شوارع المدينة وإلى المساجد والمنازل يذبحون كل من صادفهم من الرجال والنساء والأطفال، فقتلوا سبعين ألفًا منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبَّادهم وزهَّادهم ممن فارقوا أوطانهم وأقاموا في هذا الموضع الشريف، وقد استمر هذا الاحتلال إلى أن جاء المجاهد الناصر صلاح الدين الأيوبي الشافعي محرراً لها عام ٥٨٣ هجري الموافق ١١٨٧ رومي، وعادت القدس إلى أحضان الدولة الإسلامية إلى أن سقطت الدولة العثمانية واحتلتها آنذاك بريطانيا عام ١٩١٧رومي، وقد قامت المنظمات الصهيونية المسلحة باحتلال الجزء الغربي من مدينة القدس في ٢٨ إبريل ١٩٤٨ رومي، وفي عام ١٩٦٧ رومي تم احتلال الجزء الشرقي منها.

وقد تعرضت القدس للعديد من الإجراءات العنصرية تراوحت بين هدم أحياء بكاملها كحي المغاربة، ومصادرة الأراضي لإقامة المستعمرات، وهدم المنازل العربية أو الاستيلاء عليها، وقد تعرض المسجد الأقصى الأسير منذ عام ١٩٦٧ إلى العديد من الاعتداءات بين التدمير والهدم والإحراق وإطلاق الرصاص وحفر الأنفاق والاقتحام واستفزاز المصلين، وشهدت القدس عدة مذابح ضد الفلسطينيين من أجل تهويد المدينة المقدسة، ومازال أهلها متمسكون بأرضهم ينتظرون اليوم الذي تتحرر فيه من دنس العدو الغاصب.

مكانة بيت المقدس عن المسلمين:

قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(الإسراء:١)، وقال تعالى في حق سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾(الأنبياء:٧١)، اتفق المفسرون وعلماء التاريخ والفقهاء وغيرهم أن المقصود من هذه الآيات هو بيت المقدس وما حوله، وإن كل ما حوله بورك لأجله، ففيه المحشر والمنشر يوم القيامة، وإليه مهاجر سيدنا المهدي وقدوم سيدنا عيسى عليهما السلام، وقد دلَّ على ذلك كثيرٌ من الأحاديث منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ لا تزال طائفة من أمتي تقاتل عن الحق حتى ينزل عيسى بن مريم عند طلوع الفجر ببيت المقدس، ينزل على المهدي فيقال له: تقدم يا نبي الله فصلِّ لنا، فيقول: إن هذه الأمة أمين بعضهم على بعض لكرامتهم على الله عزَّ وجلَّ ﴾(رواه أبو نعيم في أخبار المهدي، وأبو عمرو الداني في سننه)، ناهيك عما حصل فيه من جمع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم وصلاته بهم إماماً، ومن ثم عروجه على سُلَّم المرقاة إلى السماء، وإليه أيضاً مهاجر كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغالب مدافنهم، ويُسنُّ شدِّ الرحال إلى مسجده بلا سبب وإسراج الزيت فيه، قال صلى الله عليه آله وسلم: ﴿ لاتَشُدُّوا الرِّحَالَ إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾(رواه الخمسة وغيرهم)، وهي قبلة المسلمين الأولى لما روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ ﴾(رواه البخاري وغيره)، وللصلاة في مسجدها فضيلة كبيرة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ فضلُ الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائةُ ألف صلاة، وفي مسجدي ألفُ صلاة، وفي مسجد بيت المقدس خمسمائةُ صلاة ﴾ (رواه البيهقي في شعب الإيمان)، كذلك ينتشر منه العدل آخر الزمان ويمحق الظلم، إلى غير ذلك من الفضائل التي يصعب حصرها.



هل تعلم

- أن كلمة ﴿ بيوت ﴾ تكررت في سورة النور في آية واحدة ثمان مرات.
- أن أكثر سورة جاء فيها ذكر سيدنا موسى عليه وعلى رسولنا السلام هي سورة الأعراف وقد ورد فيها إحدى وعشرين مرة.
- أن الجزية ذكرت في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾(التوبة: من الآية٢٩).
- أن اسم سيدنا جبريل أمين الوحي جاء في القرآن الكريم ثلاث مرات، في سورة البقرة مرتين، وفي سورة التحريم.
- أن الآيات التي تعصم من الدجال هي العشر الأولى من سورة الكهف.
- أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾(النساء: من الآية٥٨) نزلت في جوف الكعبة.
- أن السورة التي تحوي ألف أمرٍ وألف نهيٍ هي سورة البقرة.
- أن عمر السيدة فاطمة عليها السلام حين تزوجت الإمام علي عليه السلام كان ثمانية عشر عاماً.
- أن الأولاد الذكور الذين ولدوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد البعثة هم سيدنا إبراهيم وسيدنا عبد الله عليهما السلام.
- أن أول من تزوج من بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي السيدة زينب عليها السلام.
- أن الزبير بن العوام رضي الله عنه هو ابن عمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم صفية بنت عبد المطلب عليها السلام.
- أن عمر سيدنا عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين توفي كان ثمانية عشر عاماً.
- أن أمامة بنت أبي العاص بن ربيع هي ابنة السيدة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
- أن السيدة أم أيمن حاضنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم توفيت بعد وفاته بخمسة أشهر.
- أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها وعن أبيها كانت تلقب بالصوامة القوامة.
- أن المرأة التي أوصت السيدةُ فاطمة سيدنا علياً عليهما السلام أن يتزوجها بعد وفاتها هي السيدة أمامةُ بنت أختها السيدة زينب عليهما السلام.